قدم " شارون " في يدِ ولدي

د. سها عبد الحميد أحمد

إلى كل أم فلسطينية تفقد ولداً من أولادها فتعد الأقصى قائلة : رجل في سبيل الله ولدي الأول لكنه ليس الأخير .

إلى أم محمد صاحبة الفاجعة التي ليس لها نظير

إلى أم الشهيد الصغير

إلى السيدة الفلسطينية التي لا يبرد جروحها البليغة إلا مزيد من التكبير

إلى أم محمد وإلى كل أم فجعت بولدها الصغير

وبعفافها وحقها المباح ولا تملك إلا أن تستعين بالله الجبار المنتقم القدير

مِنْ مَنْ أحست بك وقد لاقت منذ زمن قصير بشاعة هذا المصير

شارون رسم أجدادك مخطط الهيكل وداست قدماك الأقصى

وعلينا.. مسلمي العالم .. مسؤولية أن تُذل نفوسنا ومقدساتُنا ونرضى

ومات الطفل وقتل من جهر بالتكبير وفي الحقيقة نحن المخدرون القتلى

يتفنن العالم بأسره من جهر أو كتم العداوة

في حفر أنفاقٍ في إنسانية أمة استغاثت بالقادة

لم تُسعف ... لم تُتَبنَّى قضية هذه الأم المرتاعة

وفي النهاية اجتهدت وما دعمتها إلا الحجارة

وحتى اليوم لم نعد إلى إسلام وحدتنا وما زلنا حيارى

على مدار الأيام منذ وعت أذني شعاراتهم العظمى !

أعرف أنهم يقولون لنبني الهيكل لا بد أن نزيل الدنس .. ويقصدون الأقصى

وكبرنا والعرب وعروبتها تردد : نحن أمة العلى

اشتعلت رؤوس أجيالنا شيباً وما زالت الأمة المسلمة امرأة واهنة حبلى

جنين في رحمها لا ينمو ولا يموت ولا يحيى

وأطفال مصائبنا تجسد بملامحها شكل البلوى ولون البلوى وطعم البلوى

وكل منا في خدره آمن يأكل ويشرب ويضاجع

ولا يقدر إلا على أن ينسى

ونحن في بيوتنا نتعاطف ونغضب وفي النهاية نلعن القوى العظمى

ولا يصرخ رجالنا إلا في وجوه أبنائهم ليصمتوا فيصغوا إلى النشرة الأولى

نشرة عالم ثالث أم عاشر .. تجعل كل ناطق بالشهادة منا في حالة غيبوبة وشفقة ونجوى

وما زلنا نفكر أن نلتقي صدفة لتترجم مآسينا إلى قرار محترم

ونسخر آبار البترول والرصيد المبتول ونوعيات من العقول

ليتجندوا ويردوا عن المسلمين شر الأذى

بلى لم نلتق حتى الآن ليتوحد فينا القرار وتكون لنا الفتوى

نحن في فرقتنا نعاني من المصيبة الكبرى

وتصدر المراسيم ونكرر في خطبنا أننا عبيد فقط لله القادر الأعلى

ما عاد يرضي تواضعنا كمسلمين أن فقهنا لا يملك إلا مذاهب أربعة

وليس أحرص منا على تطبيق السنة الشريفة

ليّنين ونحن نباع ، سمحين ونحن نشترى ، ولسنا أبداً بغياب

بل نحن حضور في دفاتر أيَّة شركةٍ مساهمة

للغرباء دائماً نعاجٌ طائعةٌ متسامحة

وفيما بيننا نتفنن ونتسابق على ارتفاع المهور الجائرة

ويعم الزنا أمةً كانت لِعفَّة كل جدار حاضة

واليوم هي بشرف عذاراها زاهدة

كان لنا أجدادٌ يرضون بالزهد واليقين والعلم المتين

حتى لا يغدو أسرى بين يدي شبح مستعار

واليوم أعزُّ أماني أحفادهم أن يركبوا الشبح المستعار

وبدل أن يتنافسوا بعدد الحلقات التي يحضرونها

وأسماء كتب لشيوخ العلم قرؤوها

وعدد الأحاديث التي حفظوها

يتنافسون بعدد الأحصنة للسيارات التي استوردوها وركبوها

وبيد كلٍّ واحدٍ منهم جاسوسٌ شرعي مستعارٌ جوال

وبالغرفة الفردية لكل منهم أزرارٌ تأتي له بكل الدنيا تحت قدميه طائعة

ليخلو المكان العام وتدوسَ أقدام شارون أرضاً مقدسة

والآباء جنود ساعية طافت أم عجزت لرغبات الرفاهية مستعبدة

ألم نحس بوطأة أقدام كل شارون على أرض كل غرفة في عقر دورنا

ألا نركض وراء كل إعلام باهر ورعاية مبرمجة كالخراف الهائجة

ألم نصغ إلى صوت أنفاس أي شارون يلهث في ركضنا بالدنيا كركض الوحوش بالبرية

بلى لقد أُعلن الخبر من دائرة كل مِقْود جلدي مرصع

أعلن من مفاتيح السيارات الذهبية

من قاعات الأعراس السحرية وسجاجيدها المخملية

من سبائك الذهب التي تكدس لتدفع ثمناً للإحصان كأرخص هدية

أعلن النبأ من مريول سيدة بيت تطهو الطعام

أياماً ولياليا سرمدية

من محطات بالمئات لها في بيوتنا الصدارة وفيها كم هائل

من الهوان المستساغ والعقل المستعار والمبادىء المبرمجة

والجنس المباح وتوقير مومس وعاهرة أنثوية

أعلن نبأ شارون الصومالي فلان الذي طعن بحكم المحكمة في القضية

لينال حقه بالزواج من اللوطي فلان مقابل أن يحصل على الجنسية

إنها الأمة المسلمة ...

ينتظر كل فرد فيها أن يكون كل فرد منها الجندي إلا هو

أن يكون كل فرد فيها عالماً ومجدداً ومبتكراً ومتمرداً مبدعاً عداه هو

أن يسارع كلٌّ فرد بالتفاني بزمنه المحدود في خدمة إسلامه

عداه هو

ونحن أمهات القوم

نساء تكتظ بهن الصاغات وتتقيؤهن المطابخ

وتمل من نومهن الطويل والعداء للتبكير المضاجع

وتضجر من غيبتهن وثرثرتهن المسامع

وتزعق وتئن من قعداتهن الطويلة المجالس ..

بلى .. يدخل شارون وجنوده الأقصى واثقين الخطا

ليتحدوا مشاعرنا وآهاتنا ونحن اللواتي تمكنت منا الصغائر

ليهمس البعض للبعض

من يكون هؤلاء ؟ جماعة فلان .. أم حركة فلان ؟

يعمي التعصب البليد بصيرة إيماننا

يشل حظ النفس خطانا .. نفتقد الجدية والمداومة بعزيمتنا

لم نعتد حياة الجنود المجهولة والأعمال الصامتة

ولو أن لنا حساسيتنا من الآخرين كما لنا حساسيتنا من بعضنا البعض

لما غدونا حلوى نباع على العربات المتجولة في شوارع العالم ..

أما أنا فلقد أحسست بقدم شارون في يد ولدي الطرية

أنا وهل تعرفون من أنا ؟

أنا الأم البوسنوية المتربعة في حلقة دائرية

آكل لأعيش موتاً في ظل الكلاب الصربية

ولدي الصغير على يميني وعلى شمالي عملاق البندقية

لا يُرغّبني بالبقاء إلا قطعة من كبدي لا حول لها ولا قوة

ليتردد سؤال الصربي على مسامعي التي دفنت فيها مائة ضحية

وغدت محتلة لا مكان فيها لكلمة أبية

ألا يعجبك الطعام ؟

أجبته : بلى لأتجنب عورته الغاصبة أن تخمد في امرأتي التي ما زالت رغم عشرات الاعتداءات للغاية عفيفة وحية

فقال : أليست باللحم أكثر شهية ؟

قلت : كما تريد كل وجبة تراها أنت شهية هي الشهية

مد سكينه التي تحدى جبروتها كل معتصم جبان من الأمة الإسلامية

ليقطع يد ولدي ويرميها في طعامي وأخذ صحني يزعق

ولاويل فردية

سال دم كبدي ليخط على صفحات التاريخ رواية أيُصدِّق يا ترى أن أحداثها حقيقية ؟

وقال لي قولة جبار شقية

كلي الآن لتري صدق قولي إنها باللحم أكثر شهية

ألا تستحق وجبتي اليومية ويده الباكية الضحية

ألا تستحق حرقة كل أم بوسنوية أم شيشانية أم فلسطينية ؟!

أن نقف حقاً وقفة أمة إسلامية !!

وقفة رجل واحد يُصر على أن يحد من نزيف فواجعنا السخية ؟؟